لقطات من زيارة سموه لفرنسا

سجل الزيارات يؤكد

سياسة الاقتحام للمشاكل وتصفية الخلافات على أسس أخلاقية طابعها الصراحة والوضوح

● سمو ولي العهد : التحرك السعودي احتوى اكثر المشاكل تفجرا في المنطقة والعالم

● سموه يحذر : الاخطار جسيمة ولا بديل عن التضامن والقوة لحماية دولنا وشعوبنا

الرجل .. والاخلاق .. والدبلوماسية

غالبا ما يترادف مفهوم الدبلوماسية لدى الكثيرين مع مفاهيم اخرى .. فالدبلوماسية عند البعض تعني اللباقة في الحديث والقدرة على التحايل والتخلص من المواقف واطلاق التصريحات البراقة ـ ايا كانت علاقتها بالواقع الفعلي .

وهي عند البعض الآخر مرادفة لاجادة المجاملات الشكلية التي لا تؤدي معاني محددة .. كما يربط آخرون بين الدبلوماسية والكذب والنفاق والقدرة على اظهار غير الحقيقة الباطنة .. بل ان كثيرا من الناس يربط بين نجاح المسئول او الدبلوماسي او المفاوض وبين اجادته للمراوغة والمناورة .. وان النجاح غير وارد الا باستخدام هذه الاساليب التي يصفها البعض ـ تبريرا وتسويغا لاستخدامها ـ بأنها اساليب « ميكيافيللية » نسبة الى المبدأ اللا اخلاقي الذي طرحه المفكر « نيقولا ميكيافيلي » والذي يرى ان « الغاية تبرر الوسيلة » .. وغفل المؤمنون بهذا المبدأ عن ان استخدام وسيلة لا اخلاقية لن ينتج سوى دبلوماسية لا اخلاقية .. ولا يمكن لاهداف سامية ان تتحقق من خلال اساليب هابطة او بغيضة .

والسؤال المطروح اذن .. هل من الممكن ان تنجح الدبلوماسية في اقامة علاقات وطيدة بين الدول وتسوية الخلافات وتحقيق المصالح دون اللجوء لهذه الاساليب ؟

بمعنى آخر .. هل من الممكن ان ينجح المسئول او القائد او السياسي مع انه لا يكذب ولا يجامل ولا يكثر من التصريحات البراقة وان يحل الود والصداقة محل المناورة والخداع ؟

الاجابة بالتأكيد بنعم .. بل ان هذا الامر ليس ممكنا فحسب .. بل ان النجاح الحقيقي لرجل السياسة والحكم يرتبط بما يحوزه من هذه الصفات الكريمة والشمائل الحميدة .. وهاهي التجربة تؤكد ذلك .. وهاهي النتائج الواقعية تغير نظرة هؤلاء واولئك ازاء الدبلوماسية وازاء رجل السياسة كما يتصورون .

هاهي التجربة ممثلة في سلوك صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد الامين ونائب رئيس الوزراء ورئيس الحرس الوطني .

ولنتعمق قدرا في احد جوانب مهام سموه العديدة وهو الجانب المتعلق بدوره في اطار العلاقات الخارجية للمملكة وعلاقاتها مع الدول الاخرى ـ عربية وغير عربية ـ ودور المملكة على صعيد جهود تحقيق التضامن العربي والاسلامي وخدمة اهداف الامتين العربية والاسلامية على الصعيد العالمي .

فمنذ تولي سموه مهامه الكبيرة قبل اكثر من ثلاث سنوات قام بالعديد من الزيارات الخارجية واجرى عشرات اللقاءات مع المسئولين في العديد من الدول .. وقام بمهام غاية ، في الصعوبة في التوفيق بين اطراف شتى في وقت تأكد انه لا يمكن لاحد ان يقترب من هذه المواقف والخلافات المتلهبة سوى رجال يتمتعون بمثل شمائل هذا الرجل .

ولنذكر هنا زيارات لكل من الكويت وسوريا والعراق والجزائر ومن الدول الاوروبية فرنسا وبريطانيا ومن الدول الاسلامية الاخرى زيارته لباكستان .

فماذا تقول النتائج ؟

فعلى الرغم من عزوف سموه عن كثرة التصريحات الصحفية التي هي في الواقع محاولة من كثير من السياسيين لتغطية الفشل بعبارات صحفية عائمة وبالبسه ثوب النجاح .. فانه يترك النتائج تتحدث عن نفسها ويترك الاخرين يقيمون ويستنتجون ويكتفي لنفسه بالفعل والانجاز .

فلننظر الى زيارته لفرنسا ومحادثاته مع المسئولين هناك نجد ان النتائج كانت حاسمة شاملة لكافة المجالات لم يطغ مجال منها على آخر .. والمتتبع لوسائل الاعلام الفرنسية خلالها يلحظ بسهولة اجماعها على ان هذه الزيارة قد مثلت دفعة قوية لكافة جوانب العلاقات بين فرنسا والمملكة .. ولدور فرنسا في قضايا الشرق الاوسط .

ولنذكر على سبيل المثال .. ان زيارة سموه قد تمت بعد وقت قصير جدا من تولي رئيس الوزراء الفرنسي الحالي لوران فابيوس منصبه وقتها تكهن كثير من المراقبين بتأثر هذا التغيير على موقف فرنسا من قضية الشرق الاوسط بسبب علاقات فابيوس بالزعماء الصهاينة وتعاطفه معهم .. فاذا بزيارة سمو الامير عبدالله تقلب التوقعات ويخرج الموقف الفرنسي في اعقاب الزيارة اكثر تحديدا وتطويرا من اي ايمانه ببلاده ومتطلبات شعبه .. وهي نظرة مستمدة من تصور عربي شامل لا يغيب عن ذهنه في اية مهمة يتولاها .

والواقع ان هذه النظرة الثابتة المتكاملة ترتبط بسياسة المملكة الشاملة التي لا يعتريها ارتجال ولا تعرف المواقف العرقية ولا تنساق الى المحاور او المناورات او التكتيكات المصلحية المؤقتة وانما تسير في طريق واحد على اسس ثابتة واهداف وغايات عليا سامية لصالح العرب والمسلمين .

ويمكن بصفة عامة رصد مجموعة من المبادىء والمنطلقات التي يقوم عليها تصوره سموه ونظرته المتكاملة لقضايا المنطقة :

١ ـ ايمانه المطلق بوحدة الامة العربية وامله في قدرة هذه الامة على تجاوز مرحلة التحديات الراهنة والوصول الى اهدافها الشاملة ، وفي هذا يقول لوفد المائدة المستديرة الامريكي : « ان هناك غيوما في سماء هذه الامة ولكنها ستزول وتتبدد وعندها ينتصر الحق وينتصر العدل » .

كذلك نجده يقول : « انه مهما حدث بين الاخوة العرب من الخلافات الطارئة فلن تؤثر على وحدة العرب ومستقبلهم مع امانيهم وامالهم في وحدتهم .. فالاحداث الجسام تدفع بهم الى ذلك » .

وفي مناسبة اخرى نجده يؤكد « اننا في المملكة لانزال نؤمن بأن وحدة الصف العربي هي سبيلنا الوحيد لبلوغ اهدافنا القومية والاسلامية وحتى الانسانية .. خاصة وان العرب جميعا متفقون على الاهداف الاستراتيجية .. فيجب الا نستنزف خلافاتنا على التكتيك كل طاقتنا » .

والواقع ان هذا البعد يضيف الى سموه احتراما كبيرا ليس فقط لدى المسئولين والشعوب العربية بل ايضا لدى الاوروبيين فخلال زيارته لبريطانيا لم يخف البريطانيون اعجابهم وتقديرهم لدور سموه ازاء تسوية الخلافات العربية ، خاصة دوره الرائع في الازمة اللبنانية » .

وعند زيارته لباريس اجمعت الصحف الفرنسية على الاشادة بدوره في ازالة الخلافات العربية « ودفاعه المستمر من اجل الوحدة العربية وضرورة التضامن الاسلامي » على حد تعبير صحيفة « لوماتان » الباريسية .

بل ان صحيفة ليبراسيون اكدت ان « المسئولين الفرنسيين يعترفون بدور سموه في التقارب الذي تم بين فرنسا وسوريا وان فرنسا مدينة لسموه بهذا الدور .

٢ ـ ايمانه الراسخ بان الوصول الى الاهداف العربية لن يكون الا بتحكيم العقل والعودة الى اصول الدين الحنيف فيقول :

« ان المخرج الوحيد لامتنا مما هي فيه من مواقفهم واثر تلك الزيارة على نفوسهم وروحهم المعنوية ولنتذكر في هذا الصدد ما قاله زعيمهم عبد رب الرسول سياف عن هذه الآثار عند تسلمه جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام .

تلك هي النتائج بارزة ملموسة لا يختلف عليها اثنان ولكن .. هذه النتائج وهذا النجاح يطرح سؤالا هاما .. كيف استطاع ويستطيع سموه تحقيق هذه الانجازات ؟ والاجابة تجدها في سلوكه وشمائله ولنعد الى اسلوبه ودبلوماسيته ولنتمعن فيها جيدا .. سنجد انه يتمتع بالعديد من الصفات مكنته من تحقيق هذا النجاح الدائم من بينها :

اولا : وضوح الاهداف والمواقف :

حيث يتمتع سموه برؤية واضحة لكافة المشكلات والمواقف ـ التي يعالجها .. ويسعى لتحقيق اهداف معلنة وواضحة ومحددة وثابتة .. فله نظرة صافية وواضحة في مسألة العلاقات الدولية تماما كصفاء نظرته ووضوح ايمانه ببلاده ومتطلبات شعبه .. وهي نظرة مستمدة من تصور عربي شامل لا يغيب عن ذهنه في اية مهمة يتولاها .

والواقع ان هذه النظرة الثابتة المتكاملة ترتبط بسياسة المملكة الشاملة التي لا يعتريها ارتجال ولا تعرف المواقف العرقية ولا تنساق الى المحاور او المناورات او التكتيكات المصلحية المؤقتة وانما تسير في طريق واحد على اسس ثابتة واهداف وغايات عليا سامية لصالح العرب والمسلمين .

ويمكن بصفة عامة رصد مجموعة من المبادىء والمنطلقات التي يقوم عليها تصوره سموه ونظرته المتكاملة لقضايا المنطقة :

١ ـ ايمانه المطلق بوحدة الامة العربية وامله في قدرة هذه الامة على تجاوز مرحلة التحديات الراهنة والوصول الى اهدافها الشاملة ، وفي هذا يقول لوفد المائدة المستديرة الامريكي : « ان هناك غيوما في سماء هذه الامة ولكنها ستزول وتتبدد وعندها ينتصر الحق وينتصر العدل » .

كذلك نجده يقول : « انه مهما حدث بين الاخوة العرب من الخلافات الطارئة فلن تؤثر على وحدة العرب ومستقبلهم مع امانيهم وامالهم في وحدتهم .. فالاحداث الجسام تدفع بهم الى ذلك » .

وفي مناسبة اخرى نجده يؤكد « اننا في المملكة لانزال نؤمن بأن وحدة الصف العربي هي سبيلنا الوحيد لبلوغ اهدافنا القومية والاسلامية وحتى الانسانية .. خاصة وان العرب جميعا متفقون على الاهداف الاستراتيجية .. فيجب الا نستنزف خلافاتنا على التكتيك كل طاقتنا » .

والواقع ان هذا البعد يضيف الى سموه احتراما كبيرا ليس فقط لدى المسئولين والشعوب العربية بل ايضا لدى الاوروبيين فخلال زيارته لبريطانيا لم يخف البريطانيون اعجابهم وتقديرهم لدور سموه ازاء تسوية الخلافات العربية ، خاصة دوره الرائع في الازمة اللبنانية » .

وعند زيارته لباريس اجمعت الصحف الفرنسية على الاشادة بدوره في ازالة الخلافات العربية « ودفاعه المستمر من اجل الوحدة العربية وضرورة التضامن الاسلامي » على حد تعبير صحيفة « لوماتان » الباريسية .

بل ان صحيفة ليبراسيون اكدت ان « المسئولين الفرنسيين يعترفون بدور سموه في التقارب الذي تم بين فرنسا وسوريا وان فرنسا مدينة لسموه بهذا الدور .

٢ ـ ايمانه الراسخ بان الوصول الى الاهداف العربية لن يكون الا بتحكيم العقل والعودة الى اصول الدين الحنيف فيقول :

« ان المخرج الوحيد لامتنا مما هي فيه من ضعف في القوة وشتات في الرأي وتمزق في المواقف هو العودة الى الدين الحنيف وتمسكها بحبل الله المتين وتمسكها بكتاب الله فيما يعرض لها من شئون حياتها ..

مالم تتنبه امتنا لذاتها ومالم نسلم انفسنا بالقوة والعلم فان الامة حليفة الضياع فان اي امة افرغت حياتها من العقيدة هي والجهل سواء » .

سمو ولي العهد

ثانيا : الصداقة :

حيث يتمتع سموه بقدرة تدعو الى الاعجاب في تقريب وجهات النظر وخلق صداقات وطيدة مع من يلقاه من المسئولين .. ولعل هذه الفضيلة من اهم مايميز علاقات سموه بالعديد من القادة العرب والاجانب .. فلا مكان يحل به حتى يترك علاقة حميمة وطيدة مع المسئولين فيه تكون عونا له ومساعدا في انجاز اية امور صعبة من خلال هذه العلاقات الودية ..

ولنعد الى تعليقات المسئولين خلال زياراته للدول العربية والاوروبية .. فخلال زيارته لباريس صرح مسئول فرنسي كبير بالرغم من اهمية العلاقات بين المملكة وفرنسا فاننا ننظر الى زيارة سمو الامير عبدالله بانها زيارة صداقة قبل اي شيء آخر ..

ونجد مسئولا فرنسيا آخر يقول : « ان زيارة سموه الامير عبدالله لفرنسا تعبر عن التقدير البالغ الذي تكنه لسموه وللدور البارز الذي يضطلع به في تصريف شئون بلاده وعلى الساحة الدولية ايضا حيث يعترف له عدد كبير من الدبلوماسيين بموهبته كرجل مفاوضة ..

ويقدرون له تعلقه بمبدأ استقرار العلاقات بين البلدان والمناطق .

كذلك فقد علق بعض المراقبين على الاستقبال الحافل الذي لقيه سموه عند زيارته لدمشق بانه يفوق بكثير مايعرف عن « الكرم البروتوكولي » ..

والواقع ان الملكة الصداقة هذه لها علاقة بتكوين سموه الدبلوماسي ومهماته الخارجية العديدة .. كما انها تقوم على اساس راسخ تسير عليه الدبلوماسية السعودية وهو كما يقرر سموه « ان المملكة تطلب من البلدان الصديقة ان تتفهم القضايا التي تشغلها حتى لايكون في التعاون معها بمختلف وجوهه اي موطن من مواطن الخلاف »

هذه الملكة تمكنه من تحقيق العديد من الاهداف .. ونوفيق كثير من الاطراف وتقريب مواقفهم .. بل ان التفاؤل باهمية هذه الصداقات وصل بالمراقبين الى التكهن بان زيارة سمو الامير عبدالله لدمشق كان لها دور في انهاء الشائعات التي ترددت حول وجود نوع من الجفوة بين الرئيس حافظ الاسد وشقيقه الدكتور رفعت الاسد وذلك استنادا الى صداقة سموه معهما .

ثالثا : الواقعية : يتميز اسلوب سمو ولي العهد بقدر كبير من الواقعية .. فهو لايجامل احدا فيما يتعلق بالحقوق والمقدسات العربية .. وهو يعرف ان العالم يؤمن بلغة المصالح .. لذلك يقول ، ان من الاولى بالعرب ان يخاطبوا العالم الغربي بنفس لغته » .

وترتبط واقعيته بالتصور الاستراتيجي السعودي الذي يسقط اوهام الشعارات ويتعامل مع حقائق الواقع سواء على المستوى العربي او الدولي لان التعامل مع الحقائق هو الطريق الصحيح ..

ويؤمن ـ كما تؤمن الدبلوماسية السعودية ـ بانه قد ضاع وقت طويل في تصور الحلول التي تقفز فوق الممكن لتطلب المستحيل .. فالثابت حتى الآن والى كل وقت ان حل القضية الفلسطينية .. وحل القضية اللبنانية .. وحل النزاع العراقي الايراني لن يتحقق في اطار الممكن العربي او الاقليمي فقط ولكن ايضا في اطار الممكن دوليا ..

وقد يكون ـ وغالبا مايكون ـ الممكن العربي مستحيلا دوليا ومن ثم يعوم ترويض المستحيل وتطويع الممكن حتى لاتصطدم بالمستحيلات الدولية ..

رابعا : الصراحة .. او الصمت :

على عكس الكثير من رجال السياسة في عالم اليوم .. يؤمن سمو الامير عبدالله بضرورة الصراحة في كل شيء ولايقبل اساليب المراوغة والخداع .. والا فيجب على الانسان الصمت فمبدأه الاساسي اما الصراحة او الصمت . فهو لايوارى .. ولكنه ايضا لايتوارى .

ويقول في هذا الصدد : « ان الصراحة نقطة هامة بالنسبة لزعامات هذه الأمة .. ولن تحل اية مشكلة الا اذا تحولنا الى مثل هذه الصراحة والوضوح » .

وكل مايخالف هذه الصراحة هو في تقدير سموه « كذب » ايا كانت المسميات التي تطلق عليه مثل الدهاء السياسي او المراوغة ..

اما عن قلة تصريحاته الصحفية وعزوفه عنها فيقول :

« عندما يكون الانسان في موقع المسئولية فان اي كلمة يعلنها تحسب عليه .. ونظرا لحساسية الاوضاع التي تمر بها امتنا العربية في المرحلة الراهنة .. فقد اثبت علي نفسي الا اتكلم .. فالكلام ليس مهما ولكن الافعال هي الاهم .. والحمد لله فاننا بحكم المسئوليات الملقاة علينا نعتقد أن مانقوم به في بلدنا ومانهدف اليه في تحركاتنا عربيا واسلاميا ودوليا انما يرضي الضمير ويرضي الله سبحانه وتعالى » .

والواقع ان هذه الفضيلة قد اكتسبها سموه من المدرسة السياسية التي تربى فيها وهي مدرسة جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود طيب الله ثراه .

ولعل ابرز عبارات جلالة الملك عبدالعزيز في هذا الصدد والتي حفظها التاريخ قوله :

« انا لست من رجال القول الذين يرمون اللفظ بغير حساب .. انا رجل عمل .. اذا قلت فعلت وعيب علي في ديني وشرفي ان اقول قولا لا اتبعه بالعمل .. وهذا شيء لم اتعود عليه ولن اتعود عليه ابدا » .

ولنذكر مثلا موقف من زيارته لباريس عاصمة « النور » والثقافة .. فعقب زيارة سموه للمكتبة الوطنية وجامعة السوربون وقصر فرساي .. علق احد اساتذة السوربون متسائلا عما اذا كانت الزيارة « زيارة ثقافية » .

واما جاك شيراك عمدة باريس ورئيس الوزراء الاسبق وزعيم حزب التجمع من اجل الجمهورية ادار سموه حوارا رائعا وصفه شيراك نفسه بانه كان « حوار حضارات » ومما قاله سموه في هذا الحوار : ان الحوار بين الشرق المسلم والغرب المسيحي لم يسفر فقط عن تداخل ثقافات بل اسفر عن احياء ثقافات كالثقافة الاغريقية التي نفض المسلمون عنها تراب القرون » .

وعقب بعض السفراء في باريس على هذا الحوار قائلين : « ان فرنسا رحبت بسمو الامير عبدالله بعقل ثقافتها .. مثلما فعلت ذلك بعاطفة صداقتها معه » .

زيارة خيرة

كتب المحرر السياسي :

منذ ان ارسى جلالة المغفور له الملك عبد العزيز دعائم كياننا الشامخ على اسس راسخة .. والمملكة لم تدخر جهدا للعمل والتحرك على كافة الساحات لخير هذه الامة ودعم قضاياها المصيرية .

● واستمرارا لدورنا الخير تأتي زيارة صاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن عبد العزيز للنمسا اليوم .. وتحظى باهتمام عربي ودولي انطلاقا من اهمية كل تحرك تقوم به المملكة لخير العرب والمسلمين والبشرية جمعاء ..

● وتكتسب زيارة سمو ولي العهد للنمسا اهمية خاصة في ضوء الموضوعات التي سيتم بحثها وتبادل وجهات النظر بشأنها مع كبار المسئولين النمساويين .. وفي مقدمتها القضايا العربية والدولية ودعم العلاقات الثنائية بما يحقق الخير للجميع .

● كما تأتي هذه الزيارة في وقت نواجه فيه المنطقة خطر التفجير نتيجة لاستمرار الجمود في عملية السلام ومواصلة الكيان الصهيوني تعنته في غياب الضغوط الدولية الجادة والفعالة لوقف الغطرسة الصهيونية واحلال السلام العادل بالمنطقة .

● ولا شك ان النمسا وغيرها من الدول الاوروبية مطالبة في هذه المرحلة بالذات ببذل المزيد من الجهود والتحرك المؤثر من اجل اقناع العدو الصهيوني بعدم جدوى المماطلة والتسويف وضرورة الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني .

● ومن المؤكد ان تكون زيارة سمو ولي العهد للنمسا ولقاءات سموه مع كبار المسئولين النمساويين مناسبة لتأكيد مواقف المملكة الثابتة تجاه قضايا الامة المصيرية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية التي نعتبرها قضية مقدسة وعهد شرف .. كما تتيح هذه الزيارة الفرصة لاستكشاف امكانات التحرك الاوروبي لاستعادة حقوقنا المغتصبة في فلسطين ووقف تدهور الاوضاع بالمنطقة ..

● ان التقل الذي تتمتع به المملكة على الساحة الدولية بفضل سياستها الحكيمة المتزنة والهادفة للخير .. يهيء لنا خدمة قضايا الامة العادلة في ظل تفهم كامل للمعطيات الدولية وقدرة فائقة على استثمار كل الامكانات لتحقيق الغايات النبيلة .

● واذا كان سمو ولي العهد قد قام بزيارات على الساحة العربية مؤخرا سعيا لتنقية الاجواء بين الاشقاء من اجل تحقيق التضامن العربي فان زيارة سموه للنمسا اليوم تؤكد التزامنا بالتحرك على كافة الساحات بما يدعم قضايانا ويكرس الامن والسلام والرخاء لشعوبنا .

● انها صورة من صور العطاء المتواصل عبر كافة القنوات لخير هذه الامة التي ننبوأ فيها مكان الريادة والقيادة وننتحمل مسئولية قدرية للدفاع عن حقوقها انطلاقا من رسالتنا تجاه الامة ..

● وما نتمتع به من ثقل دولي ودور قد ينحي على الساحة الدولية يعزز قناعة المراقبين بان زيارة سمو ولي العهد للنمسا ستسفر عن نتائج ايجابية على صعيد مجمل قضايا المنطقة ودعم العلاقات الثنائية واعطائها دفعة جديدة لخير شعبي البلدين والمنطقة بصفة خاصة والعالم بصفة عامة .

● ذلك هو ديدن المملكة .. ان تعمل دون ملل او كلل .. وعلى كافة الاصعدة ومن خلال كل الوسائل المتاحة .. بما فيها الحوار المباشر مع الاشقاء والاصدقاء .. دعما لقضايا الامة وتهيئة اسباب الرخاء لشعوبها في ظل الامن والاستقرار المنشود .